الفصل الأول

مقدمة
INTRODUCTION

تقوم السياحة بدورٍ مهمٍ في حياة الناس اليوم، فقد نمت أعداد المسافرين حول العالم منذ العام ١٩٤٥م، وتمثّل السياحة الآن الشكل الأكبر للهجرة المؤقتة في العالم، ويتوقّع قيام مليار رحلة دولية تقريباً خلال العقد القادم. وقد أشارت سجلات السياحة، في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، إلى أنها الصناعة الأكبر في العالم. ويمكن القول إن السياحة العالمية، وكذلك السياحة المحلية بدرجة أقل، لزيارة فضاءات وأماكن جديدة، والتعرف إلى أناس جدد، واكتساب تجارب وخبرات جديدة، أصبحت عند كثير من الناس أسلوب حياة. وقد أقرت منظمة السياحة العالمية The World Tourism Organization (WTO) أنّ التراث والثقافة أصبحا يكونان ٤٠٪ تقريباً من أهداف كلّ الرحلات الدولية. وتعرّف منظمة السياحة العالمية سياحة التراث بأنه: "الانهماك في التاريخ الطبيعي، والتراث الإنساني والفنون والفلسفة ومؤسسات الدول والمناطق الأخرى". وبينما كان ممكناً في الماضي القيام برحلة عالمية واحدة على الأقل في العام، فإن هذا العدد زاد اليوم نتيجة لتنوع طبيعة الرحلات ومدّتها؛ ولذلك يجب على المقاصد السياحية أن تلبّي أكبر قدر من الاهتمامات السياحية، وأن تعيد تنظيم المنتجات والخبرات السياحة التي تقدمها بشكل دائم. وقد بدأت كثير من المقاصد السياحية في إدراك الفرص الواعدة في عرض التراث. وبالرغم من أن أغلب السياح غير معتادين على تصنيف أنفسهم حسب العلامة التجارية – وذلك شيء تفرضه الصناعة على نفسها – فإن الخبرات السياحية، في أغلب الأحيان، تصنف حسب العلامة التجارية. ويركّز هذا الكتاب على أحد هذه التصنيفات، التي تسمى بالسياحة التراثية. وهو لا يتناول التراث وكيفية إدارته فحسب، بل يتناول ذلك تحت عناوين أخرى، مثل: التراث الطبيعي والثقافي والحضري (Ashworth and Tunbridge 2000; Graham *et al.* 2000; Hall and McArthur 1993a, 1998). كما يركز، على كل حال، على مفاهيم رئيسة، مثل جواذب السياحة التراثية وتجهيزاتها، والطلب على السياحة التراثية، والحفاظ على التراث، وإدارة السياحة التراثية، والإرشاد التراثي، ومناقشة الأصالة، وسياسات التراث. ومع ذلك، يتطلّب أيّ فهم للسياحة التراثية فهم التراث، ومن هذه النقطة نبدأ النقاش.

معنى التراث والسياحة التراثية
The Meaning of Heritage and Heritage Tourism

كان هناك نقاش حاد حول أدبيات السياحة، حيث إنّ الأكاديميين غالباً ما يهتمون بتنميق لغة التعبير عن الأفكار أكثر من اهتمامهم بدراسة فكرة السياحة نفسها (انظر: Fyall and Garrod 1998). وقد تكون هذه النقطة صحيحة، ولكن من الضروري تعريف المصطلحات لتبسيط ما نعنيه بالتراث والقضايا المتعلقة به. إن صناعة السياحة سرعان ما لجأت إلى تصنيف أنواع مختلفة من الخبرات السياحية، وهذا يعكس حقيقة أنّ هناك أنواعاً مختلفة من السيّاح، ومن ثم أنواعاً مختلفة من السياحة، ربما لأن هناك مبرراً تسويقياً للقيام بذلك. وقد تسابق الأكاديميون لتصنيف الخبرات السياحية لتعريف وإعادة تعريف ما هو مدرج في أنواع مختلفة من السياحة. وما ينسى غالباً حقيقة أن السياح نادراً ما يرون أنفسهم متوافقين مع تصنيف معين. فهدف السائح النهائي الاستمتاع برحلته وحمل ذكريات جميلة عن هذه الرحلة.

يتفق معظم الباحثين أن التراث يرتبط بالماضي؛ لأنه يمثل نوعاً من الميراث يجب أن يبقى للأجيال الحالية والمقبلة (Hardy 1988). وكما أشار كثير من الباحثين، فيما يتعلق بالمعتقدات الثقافية والأعمال الفنية، أنها من عناصر الماضي التي يود المجتمع أن تبقى (Fladmark 1998; Graham *et al.* 2000; Hall and McArthur 1998; Tunbridge and Ashworth 1996). وهذا يدل على أن هذا التراث انتقائي، وأن السجل التاريخي غير كامل، ولا يمثل التراث كل قيم المجتمع؛ فما هو مرغوب فيه للبقاء هو نماذج مختارة من الماضي. وقد يكون ذلك مقصوداً، ولكن المجتمع يستخلص التراث من خلال نظام قيمي، وهو بلا شك متغير بتغير المكان والزمان، وعبر المجتمع. وفي هذا السياق، يؤكد فولر (Fowler 1989: 60) أن: "الماضي في حد ذاته، وربما ليس الجزء المنتج منه، الذي نسميه التراث، يمثل حياداً عاطفياً. وهو ليس مثيراً ولا مملاً، وكذلك ليس جيداً أو سيئاً، وأيضاً ليس ذا قيمة أو عديم القيمة دون تدخلنا فيه". وكما يفترض التراث بعض مفاهيم القيم ذات الطابع الشخصي والتي تصنف بأنها تراث شخصي أو أسري، حيث إن هذه القيم التي أمليت بواسطة المجتمعات والأمم أصبحت "تراثنا" (Hall and McArthur 1998)، وتشكل هذه الأخيرة في الغالب، هوية المجتمعات من خلال الرموز والتماثيل، وحتى الأساطير. يركز بعض المراقبين على التراث ضمن سياق إقليمي، بحجة أن:

> المنتج الإقليمي يجب أن يكون واسع النطاق ... فالتراث يجب أن يعرّف بشكل أكبر ليشمل، إضافة إلى المواقع التاريخية والأثرية والمؤسسات الرئيسة، كل المناظر الطبيعية في المنطقة بنطاقها الجغرافي: المزارع وأنماط الحقول، والطرق، والموانئ، والمباني الصناعية، والقرى، والشوارع الرئيسة، والمنشآت التجارية، وبطبيعة الحال، الناس أنفسهم وتقاليدهم ونشاطهم الاقتصادي (Bowes 1989: 36).

بعد عقد من الزمان أكد على ذلك كل من أشورث وتونبردج (Ashworth and Tunbridge 1999: 105) عندما نظرا إلى التراث على أنه:

"الاستخدامات المعاصرة للماضي ... وتفسيره من خلال التاريخ، وشواهد المباني الباقية، ومخلفات الأعمال الفنية، والذكريات الجماعية والفردية وتسخيرها جميعاً استجابة للاحتياجات الراهنة، والتي تتضمن: تحديد هوية الأفراد، في ظل الكيانات الاجتماعية والعرقية والحدود الإقليمية، وتوفير الموارد الاقتصادية لتسويقها في إطار الصناعات التراثية".

في حقيقة الأمر غالباً ما يرجع اختلاف وجهات النظر حول معنى التراث إلى أن تطبيق مصطلح "التراث" قد استخدم لنوعين مختلفين من الظواهر. أشار ماريمان (Merriman 1991: 8) إلى ذلك حيث ذكر:

"من الجانب الإيجابي، يستخدم هذا المصطلح لوصف موضوعات الثقافة والمناظر الطبيعية التي يهتم بها المجتمع لينقلها إلى الأجيال القادمة لإبقاء حاجة الشعوب للهوية والانتماء. وفي هذا السياق، فإن استخدام مصطلح "مركز التراث" Heritage Centre في المتنزهات الطبيعية مثلاً، يشمل المؤسسات، التي تهدف إلى رعاية هذا التراث. هذه القيم الإيجابية من الرعاية والهوية هي في تناقض حاد مع النظرة السلبية المتزايدة التي تنتقص من قدر التراث. في هذا الإطار، كما هو مستخدم في "صناعة التراث"، أصبح مصطلح التراث رديفاً للمناورة (أو حتى الاختراع) واستغلال الماضي لأغراض تجارية".

يمكن تصنيف التراث كموارد مادية ثابتة، مثل: المباني، والأنهار، والمناطق الطبيعية، وموارد ملموسة متحركة، مثل: الأشياء الموجودة في المتاحف، والوثائق الموجودة في المخازن، أو الممتلكات غير الملموسة، مثل: القيم والعادات والتقاليد، وأنماط الحياة، وتشمل أيضاً الخبرات بما فيها المهرجانات والمناسبات الثقافية والفنية. كما يمكن تصنيف التراث وفقاً لنوع الجذب (Prentice 1993). وتشمل بعض الأمثلة التراث الطبيعي، الذي عادة ما يرتبط بالمناطق المحمية مثل: المتنزهات الوطنية (Dearden and Rollins 1993; Boyd 1995; Butler and Boyd 2000)؛ والتراث الثقافي الحي، مثل: الموضات، والأطعمة، والسلع ... إلخ (Boniface 1995; Nuryanti 1996; Richards 1996; Butler and Hinch 1996)؛ والتراث المعماري، مثل: المدن التاريخية، والكاتدرائيات، والمعالم، والقلاع ... إلخ (Ashworth and Tunbridge 2000)؛ والتراث الصناعي (عناصر من الموارد القديمة بالمنطقة كانت مؤثرة في عمليات الازدهار والتنمية)، مثل: نشاطات الفحم،

والخشب، والمنسوجات ... إلخ (Edwards and Llurdés 1996; Jansen-Verbeke 1999)؛ والتراث الشخصي (جوانب من المناطق التي لها قيمة وأهمية لأفراد أو مجموعات الناس)، على سبيل المثال: شاطئ النورماندي، والمقابر، والأماكن الدينية؛ والتراث الحزين، على سبيل المثال: الأماكن المرتبطة بأعمال وحشية، ورموز الموت والألم، وذكريات من الماضي يفضل بعض الناس أن ينساها (Lennon and Foley 1999). وبما أن التراث قد أسيء، غالباً، استخدامه لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية فمن المهم أن يتمثل الفهم الكلي والشامل له في الفكر (Graham *et al.* 2000).

وخير مثال للمدى الذي وصل إليه سوء استخدام مصطلح "التراث" نجده في تعليق كل من تنبردج وأشورث (Tunbridge and Ashworth 1996: 1-3)، الخاص بالأبعاد المختلفة لمعنى التراث:

- مرادف لمخلفات الماضي.
- نتاج الأوضاع الحديثة التي تنسب للماضي وتتأثر به.
- جميع المنتجات الثقافية والفنية التي تنتج في الماضي أو الحاضر.
- يشمل عناصر من البيئة الطبيعية التي بقيت من الماضي، وينظر إليها كشيء أصيل ومثال ومناسب لنقلها إلى الأجيال المقبلة.
- نشاط تجاري رئيس، يميز بشكل فضفاض بأنه صناعة تراثية تقوم على بيع السلع والخدمات مع عنصر تراثي.
- يتبناه التطرف السياسي، حيث يستخدم التراث لإخفاء التفرد العرقي أو العنصري.

هذه القاعدة العريضة للتفكير في معنى التراث يعني أنه انتقل بعيداً عن الارتباط بالميراث أو الإرث، التي كان يرى بعض المعلقين أنها كانت تمثل نظرة محدودة وضيقة لمعنى التراث إلى آراء تنادي بجعل التراث "أي نوع من العلاقة أو التبادل بين الأجيال" (Graham *et al.* 2000: 1)، بحيث يرتبط بشكل كبير بمفاهيم الهوية، والسلطة، والاقتصاد.

كثيراً ما يُربط بين التاريخ والتراث والثقافة، وكثيراً ما يخطئ الناس عندما يساوون في المعنى بين التراث والتاريخ. فالتاريخ هو تسجيل الماضي بأكبر قدر ممكن من الدقة لإعطاء القدر الدقيق من المعرفة في الوقت الحالي. والتراث جزء من ماضينا أيضاً لكنه يشتمل على مجموعة من الجوانب، مثل: اللغة، والثقافة، والهوية، والمحلية، وذلك بغرض الإعلاء من شأن بعض هذه الجوانب، خاصة تلك التي حظيت بقدر من الأهمية. وقد شرح كاسيا الاختلاف بينهما بدقة عندما صرح بأن: "التاريخ بصفته نشاطاً علمياً، هو وسيلة لإنتاج المعرفة عن الماضي، والتراث هو وسيلة لاستهلاك تلك المعرفة" (Cassia 1999: 247). وبناء عليه فإن التاريخ "هو ما يعتبره المؤرخ جديراً بالتسجيل، والتراث هو ما يختاره المجتمع المعاصر لينقله للأجيال القادمة" (Tunbridge and Ashworth 1996: 6). وباختصار، فإن هذا التعريف، وتلك التعريفات المذكورة أعلاه، والكثير من التعريفات الأخرى تشير ببساطة إلى

حقيقة أن التراث لا يعني الماضي فحسب، ولكنه الاستخدام الحالي لعناصر من الماضي في العصر الحاضر، سواء كانت مادية أو غير مادية، ثقافية أو طبيعية، فهي جزء من التراث.

كثيراً كذلك ما يُربط بين الثقافة والتراث، ربما لأن هناك صلة واضحة في أن التراث جزء من المناظر الطبيعية الثقافية في الماضي والحاضر (Zeppel and Hall 1992). فالربط بين الثقافة والتراث واضح في كيفية تعريف، كل من تاهنا وأوبرمان (Tahana and Oppermann 1998: 23)، الجواذب الثقافية بأنها: "تتدرج من المعالم التاريخية إلى الأعمال الفنية أو الحرف اليدوية، ومن المهرجانات إلى العروض الموسيقية والرقص، والشوارع المزدحمة بالحياة لثقافات مختلفة إلى نظام حياة متميز للسكان الأصليين". وبربط التاريخ والثقافة والأرض التي يعيش فيها الناس، تظهر مجموعة من مواقع التراث تشمل مزيجاً من العناصر الملموسة وغير الملموسة. مثل:

- المباني والمعالم التاريخية.
- مواقع لأحداث مهمة سابقة مثل المعارك.
- المناظر التقليدية والحياة البرية الطبيعية.
- اللغة والأدب والموسيقى والفن.
- الأحداث التقليدية والممارسات الشعبية.
- أساليب الحياة التقليدية، بما فيها الطعام والشراب والرياضة (Swarbrooke 1994: 222).

إن ما ظهر بوضوح من خلال إعلاء صورة التراث الفكرية والاقتصادية هو توسيع المصطلح لتطبيقه، لا على البيئة التاريخية بشقيها الطبيعي والصناعي فقط، ولكن أيضاً على كل بعد لعناصر الثقافة الملموسة، والمواريث الفكرية والهويات الثقافية (Tunbridge 1998a). وقد رأى ريتشاردز Richards أن الاتجاه نفسه لتضخيم المعنى قد طبق على استخدام مصطلح "ثقافة" في علاقتها بالسياحة. فمصطلحات مثل "السياحة الثقافية"، و"السياحة التراثية"، و"السياحة العرقية"، و"سياحة الفنون" هي تقريباً مصطلحات متبادلة في استخدامها، مع إجماع محدود في الآراء بشأن ما إذا كان الناس تتحدث عن الشيء نفسه أو لا. وقد صور ريتشاردز الروابط بين هذه الأنواع بالطريقة التالية: أن الثقافة تتألف من مجموعة من العمليات، مثل: الأفكار وطريقة حياة الناس، ونتائج تلك العمليات، مثل: المباني، والفن، والأعمال الفنية، والمنتجات الثقافية؛ لهذا فإن السياحة الثقافية، تتجاوز زيارة المواقع والمعالم، لتشمل الاستمتاع بطريقة الحياة في الأماكن المستهدف زيارتها. فبالنظر للسياحة الثقافية التي تشمل المنتجات الثقافية، والثقافة المعاصرة، يقول ريتشاردز: إن السياحة الثقافية تشمل كلاً من السياحة التراثية (بتعريفها بأنها تتصل بمنتجات الماضي)، فضلاً عن سياحة الفنون (ذات الصلة بالإنتاج الثقافي المعاصر) (Richards 2000a: 7). وهذا يتسق تماماً مع ما ذهب إليه كل من هول وزيبل (Hall and Zeppel 1990a: 87) في الربط بين السياحة الثقافية والتراثية بقولهما:

"السياحة الثقافية هي سياحة تجريبية تقوم على العروض الفنية، والفنون البصرية والمهرجانات. فالسياحة التراثية، سواء كانت في شكل زيارة المواقع الطبيعية، أو المواقع التاريخية والأثرية، أو المباني والمعالم، هي أيضاً سياحة تجريبية فيما يتعلق بالشعور بلقاء الطبيعة أو الشعور بجزء من تاريخ المكان".

في وقت لاحق وضع كل من هول وزيبل، مع إبقائهما على الروابط القائمة بين التراث والسياحة الثقافية، السياحة التراثية داخل مجال واسع لسياحة الاهتمامات الخاصة كجانب من السياحة المتدرجة من دراسة المخلفات المادية للماضي والمناظر الطبيعية إلى التعرف إلى التقاليد الثقافية المحلية (Hall and Zeppel 1992). كما يحمل مولوي (Molloy 1993) وجهة نظر مماثلة، مؤكداً على أن التراث الطبيعي يشترك مع كثير من مبادئ التراث الثقافي. وقد ميّز كتّاب آخرون بين السياحة التراثية والسياحة الثقافية. فعلى سبيل المثال، يرى موسكاردو (Moscardo 2000) أن المصطلح السابق يركز على الماضي، في حين أن الأخير يركز على الحاضر. وقد تساءل بوتلر (Butler 1997) عن أهمية وضع تمييز بين السياحة التراثية والسياحة الثقافية، بحجة أن ما هو مهم للسياح ليس هو التمييز بين هذه وتلك، بل ما إذا شعروا بالرضا أو استمتعوا بالتجربة السياحية أم لا.

لقد نشأت الصلة بين السياحة التراثية والسياحة الثقافية إثر تأكيد رؤية برنتس (Prentice 1994) التي تقول: إن السياحة التراثية قد تم الترحيب بها بوصفها واحدة من أسرع أشكال السياحة الثقافية نمواً، وإذا كان يمكن لأحد أن يعطي معنى لمصطلح "التراث"، فمن الأفضل أن يرتبط هذه المصطلح بالثقافة في شكل مبانٍ، وفنون، وأماكن مشهورة، ومنتجات تراثية، وفي الناس المعاصرين الذين يمارسون أساليب الحياة التي يعتقد أنها تعبّر عن تراثهم (Butler 1997).

وباختصار، فإن ما هو موجود عبارة عن تراث واسع الطيف (Richards 1996)، يضم الآثار القديمة، والبيئة الحضرية، وجوانب من البيئة الطبيعية، والكثير من جوانب الحياة الثقافية والفنون. في حين يدعي بعض الباحثين أن التراث صناعة، فما يظهر كثيراً هو نشاطات فردية داخل هذا الطيف تعدّ نفسها عناصر فريدة من نوعها "وتتخذ قرارات تتعلق بالأسواق السياحية، مع قلة الإشارة أو عدمها إلى ما يقوم به الآخرون، وتأمل في الوقت نفسه جذب الجمهور ذاته" (Middleton 1997: 215). إن فكرة طيف التراث تعود إلى وقت سابق، ولكن من العناصر الأخرى المهمة في فهم التراث والسياحة التراثية هو السياق الذي وجدت فيه.

وثمة منهج بديل لتوضيح السياحة التراثية عرضه بوريا وآخرون (Poria *et al.* 2001). فقد اعترضوا على الأسس الموضوعية للسياحة التراثية باعتبارها مجموعة فرعية من السياحة، التي تعتمد على الخصائص التاريخية للموقع أو الجذب: وهي وجهة نظر مشتركة في أدبيات كل من بلجي وسيلي (Peleggi 1996; Seale 1996). ويقترحون

بدلاً عن ذلك أن السياحة التراثية هي: ظاهرة تقوم على دوافع السياح وتصوراتهم بدلاً من التركيز على موقع محدد السمات. وعلى هذا الأساس والتمييز حدد بوريا وآخرون (Poria *et al.* 2001: 1048) ثلاثة أنواع من سائحي التراث:

١- من يزور موقعاً وينظر إليه على أنه جزء من تراثه.

٢- من يزور ما يعدّ موقعاً تراثياً على الرغم من أنه لا علاقة له به.

٣- من يزور موقعاً تراثياً يصنف على وجه التحديد على أنه مكان تراثي، على الرغم من عدم إدراكه لهذا التصنيف.

وعلى هذا الأساس فقد تم تقديم هذا التعريف للسياحة التراثية على أنه: "فرع من السياحة، بحيث تعد الخصائص التراثية لموقع ما هي الدافع الرئيس فيه لزيارة ذلك الموقع، بحسب تصور السائح لتراثه" (Poria *et al.* 2001: 1048). انتقد كل من جارود وفايول (Garrod and Fyall 2001: 1049) هذا التعريف بشدة لأنه ركز على جانب الطلب، مغفلاً وجهة نظر أولئك الذين يدعمون تجارب السياحة التراثية. كما تساءلا أيضاً عن منطقية هذا التعريف الذي تجاهل مسألة التنوع والاختلاف في التراث، وركز بشدة على تصورات السياح. هذا الخلاف في الرأي يوضح أن النقاش حول معنى التراث والسياحة التراثية لا يزال قائماً.

وهناك نقطة مهمة أخرى هي أن التراث لا يمكن فصله عن محتواه ومحيطه البيئي. على سبيل المثال، من منظور دول شمال أوروبا، لا يعدّ التراث تراثاً ما لم يشمل زيارة الأماكن الحضرية، والأماكن التاريخية في المدن القديمة. وفي المقابل، يرتبط التراث بالنسبة لسائحي أمريكا الشمالية ارتباطاً قوياً بزيارة الأماكن الطبيعية، وخاصة المتنزهات الوطنية، إضافة إلى ثقافات الشعوب القديمة، وأماكن الجذب السياحي، مثل المتاحف، وصالات العرض في البيئات الحضرية، والمهرجانات في كل من المناطق الريفية والمناطق الحضرية، وخاصة تلك الاحتفالات التي تسلط الضوء على الهوية الوطنية. في حين أن الأماكن الطبيعية تشكل عنصراً مهماً للسائح الأسترالي والنيوزيلندي، كما يرتبط التراث أيضاً بالطابع الفريد للثقافة، والشعوب (الأبورجينز، والماورية، والمستوطنين الأوروبيين) وهويتهم، التي تتعايش داخل الأماكن الطبيعية والبيئة الصناعية (التي أوجدها الإنسان). وخلاصة القول، إن التراث، وطريقة فهمه يرتبطان ارتباطاً لا ينفصم مع السياق الذي يوجد فيه.

نماذج من التراث والسياحة التراثية
Modelling Heritage and Heritage Tourism

يشير الحوار السابق إلى أن التراث والسياحة التراثية من الأمور المعقدة، ولتبسيط وجهات النظر وأساليب التعبير المتعددة أعلاه، نقترح النموذج التالي باعتباره النموذج العام للتراث والسياحة التراثية (الشكل رقم ١,١). هذا النموذج انتهج من المنظور السلوكي، ويستند إلى أفكار سائدة داخل الجغرافيا السلوكية في القرن الماضي. يقترح

هذا النموذج أن التراث يوجد داخل نوعين من البيئة. وهما "الظواهرية" phenomenal، و"السلوكية" behavioural. البيئة الأولى هي توسيع لمفهوم البيئة، التي تشمل الظواهر الطبيعية والثقافية والبيئات الصناعية، التي إما قد تم تغييرها وإما قد نشأت نتيجة النشاط البشري (Kirk 1963). على العكس من ذلك، فإن البيئة السلوكية هي البيئة التي توجد فيها الوقائع الاجتماعية والثقافية القائمة داخل البيئة الظواهرية، والتي تمر على مرشحات لبعض القيم الإنسانية. ووفقاً لكيرك، فهذه تشكل الأساس الذي يتم فيه اليوم اتخاذ القرارات التي يجوز، أو لا يجوز، أن يتم إجراؤها، بحيث تترجم إلى عمل ضمن البيئة الظواهرية. وقياساً على ذلك ما يمكن اتخاذه من دراسة إدارة الموارد (Kirk 1963). وقد اشتهر عن زيمرمان (Zimmermann, 1951: 15) عبارة 'resources are not, they become'، وهذا يعني أن الموارد موجودة كجزء من العالم المادي "كأشياء محايدة" ولا تصبح مورداً إلاّ عندما ينظر إليها على أنها ذات قيمة للمجتمع. وما يستدل عليه في سياق التراث بعد ذلك، هو أن "التراث" موجود كجزء من عالم الوقائع المادية والاجتماعية، المسماة (البيئة الظواهرية). ولا تصبح جزءاً من البيئة السلوكية إلاّ عندما يرى المجتمع والثقافات أن لها قيمة نفعية، وبعض القيمة الوظيفية. وكما ذُكر سابقاً، فقد أوضح كل من هول وماك آرثر ذلك بقولهما: إن التراث تشكل من عناصر من ماضينا الذي نريد له البقاء (Hall and McArthur 1998). على هذا النحو، فليس كل شيء في ماضينا وصل إلينا. فالتراث منتج مرّ من خلال عدد من المرشحات Filters. في المرحلة الأولى، لابد من تعريف المنتج كتراث من أجل انتقاله وتحويله من البيئة "الظواهرية" إلى البيئة "السلوكية". وفي المرحلة الثانية، يتم تشكيل التراث وتقييمها كسلعة؛ حتى يمكن تسويقها وبيعها للزوار. وهكذا يتحول وضع التراث بعد مروره على مرشح اقتصادي ليؤدي وظيفة اقتصادية، ومن هنا برزت صناعة التراث (Tunbridge and Ashworth 1996).

في قلب ذلك تكمن تجربة السياحة التراثية، وهي تشكل الناتج الرئيس للسياحة؛ لأن الناس في النهاية يريدون الحصول على تجارب ممتعة من رحلتهم. وهو ما نص عليه في إطار صناعة التراث. وكما هو في الدائرة الداخلية الكبيرة، في النموذج الموضح في الشكل رقم (١,١)، تتشكل تجربة السياحية التراثية داخل ما يُطلق عليه (بيئة التراث التجريبية) "experiential heritage environment". إن تجربة السياحة التراثية تتأثر وتتشكل من خلال مزيج من العناصر، مثل: العرض والطلب، وطبيعة المكان التراثي، الذي تم الحفاظ عليه وحمايته، والآثار التي يُخلّفها التراث داخل مناطق المقاصد السياحية، وكيفية إدارة موارد التراث وجواذبه، وكيفية تفسيره وعرضه، فضلاً عن الدور الذي تقوم به السياسة في تشكيل التجربة التراثية. وبما أن منتج السياحة التراثية هو من صُنع السياحة، فإن واجهة التسويق وشكله يعدّ ميزة وسمة قوية من خلال خبرات السياح، إضافة إلى التجارب التي تتأثر أيضاً بالعنصر الأساس للمنتج، والنتائج، وهذه العوامل كلها محددة داخل النموذج.

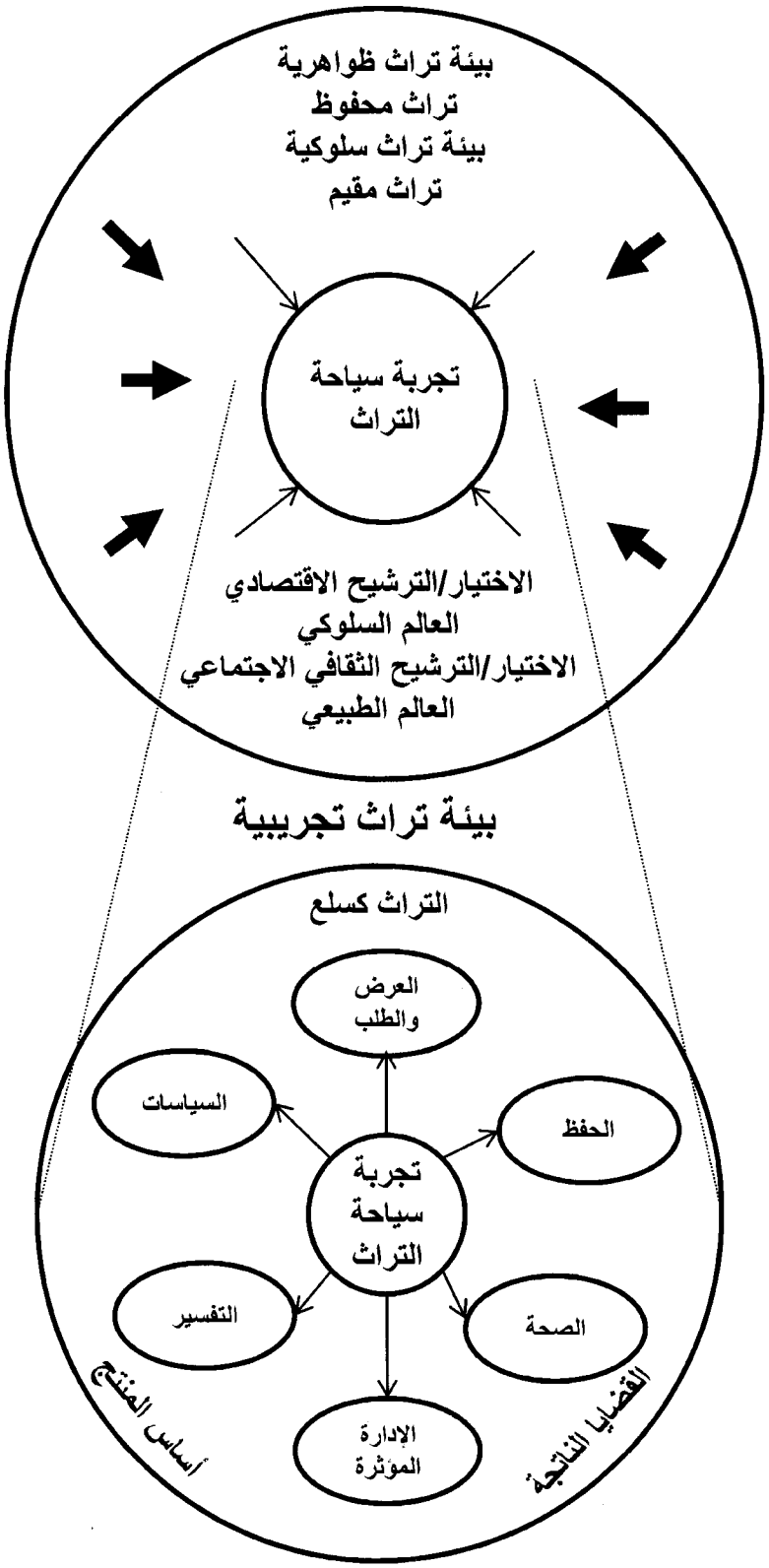

الشكل رقم (١,١). نموذج للتراث والسياحة التراثية.

ومن المهم الآن العودة إلى مسألة طيف التراث على النحو الذي دعا إليه ريتشاردز (Richards 1996) في وقت سابق. هذا المفهوم مهم لأنه يساعد على توضيح وجود أنواع كثيرة من تجارب التراث ومجالاته. يشير الشكل رقم (١,٢) إلى أن مجالات التراث تعوق التعددية في أمور تتدرج من الطبيعة والنقاء إلى المناطق الحضرية والصناعية. وكما يبين الشكل أيضاً، فإن هذا يسمح للسياحة التراثية أن تكون لها خصائص مشتركة مع أنواع أخرى من السياحة مثل السياحة البيئية (أو السياحة المعتمدة على الطبيعة)، داخل الجانب الأيسر من الطيف، فإن السياحة الثقافية في الوسط والسياحة الحضرية في يمين الطيف. هذا ما يبرز أيضاً أنواعاً أخرى من السياحة لا ينبغي اعتبارها ذات طبيعة تبادلية طالما أن التداخل موجود دائماً.

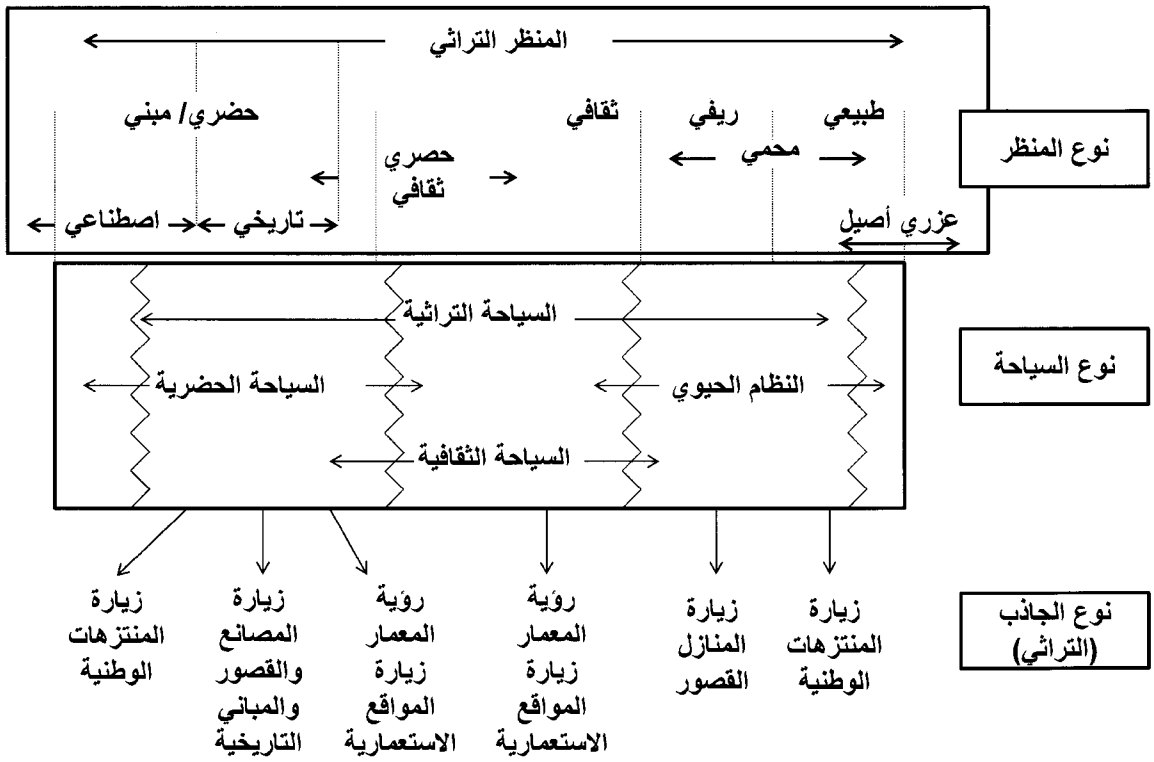

الشكل رقم (١,٢). أفق التراث: مفهوم متداخل.

نتيجة لهذه الحقيقة، يشير النموذج إلى السياحة التراثية كمفهوم متداخل. هذا التداخل بين الأنواع يثير مسألة مهمة أخرى يجب أن تعالج في بداية الكتاب. هذا ليس كتاباً عن السياحة البيئية، رغم أن الكثير من معالم التراث الطبيعي، كالمتنزهات الوطنية والمناطق المحمية تمثل مشاهدَ ومناظرَ مهمة للسياحة البيئية، إنما هو محاولة لتحقيق التوازن من خلال تغطية التراث الطبيعي والثقافي، على الرغم من أن الكثير من الأمثلة والمسائل تميل بشدة نحو التراث الثقافي أو المُصَنّع.

حجم السياحة التراثية
Magnitude of Heritage Tourism

نمت السياحة التراثية نمواً سريعاً في السنوات الأخيرة (Stebbins 1996)، نتيجة لارتفاع مستويات التعليم، وازدياد الدخل، وتزايد الوعي في العالم، وعمليات العولمة التي جعلت العالم قرية صغيرة، والتكنولوجيا، وتأثيرات الإعلام والاتصالات (مثل الأفلام) إضافة إلى ظهور أنواع جديدة من أشكال الجذب التراثي. وحتى في فترات الركود الاقتصادي، استمرت السياحة التراثية في النمو نمواً تقليدياً (Hanna 1993). وما نتج عن ذلك هو نمو الثقافة والفنون في مقاصد عدة، جنباً إلى جنب مع التراث (Zeppel and Hall 1992). في الواقع، وفقاً لريتشاردز، فإن هذا التغيير حدث بسرعة كبيرة لدرجة أن سياح اليوم يقومون بزيارات إلى موارد تراثية تعود إلى فترة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين (Richards 1996) وهي قضية أثارها سواربروك عندما تساءل عن العمر الذي يجب أن تبلغه الأشياء حتى تصير تراثاً (Swarbrooke 1994).

وقد كشف بحث، قام به ريتشاردز، عن أن السياحة التراثية والثقافية، تعكسان تحولاً كبيراً في الطلب السياحي الأوروبي، على الرغم من أن التراث، وبصورة عامة، السياحة الثقافية ليست عنصراً أساسياً في إستراتيجية السياحة التي تنادي بها اللجنة الأوروبية (Richards 1996: 261). وفي الولايات المتحدة الأمريكية كشفت دراسة تسويقية قامت بها الـ(TIA) عن أن أكثر من ٦٥ مليوناً من الأمريكيين الراشدين قد قاموا بـ٨٦ مليون زيارة للمواقع الفنية/التاريخية في العام ١٩٩٦ (*Travel and Tourism Executive Report* 1997: 1). ومن الأمثلة الأخرى التي توضح أهمية السوق دراسة هيئة السياحة البريطانية للعام ١٩٩٥م (المذكورة في Hubbard and Lilley 2000)، التي جاء فيها أن ٢٠٪ من جميع الزيارات إلى مناطق الجذب السياحي في المملكة المتحدة كانت إلى المواقع التاريخية، إذ تبلغ ٦٧ مليون زيارة في السنة. قبل سنوات قليلة أدرك كل من إيستوف وويس الميزات التنافسية لبريطانيا على غيرها من البلدان فيما يتعلق بعوامل الجذب التراثي، حيث ذكرا: "... أن المعالم المعمارية والتاريخية في المملكة المتحدة هي العامل الرئيس في جعل هذا البلد مقصداً سياحياً جاذباً للزوار القادمين من الخارج" (Eastaugh and Weiss 1989: 58). لاحظ كلٌّ من لايت وبرنتس أن صناعة السياحة التراثية هي واحدة من الصناعات البريطانية النامية خلال العقد الماضي، ومهمة لكل المناطق الريفية والحضرية (Light and Prentice 1994a). في كثير من أنحاء العالم، تعدّ السياحة التراثية الشكل الأساسي للسياحة. فعلى سبيل المثال، وُجد في إحدى الدراسات في ولاية بنسلفانيا (الولايات المتحدة) أن نحو ٢٠٪ من سياحة تلك الولاية قائمة على التراث، وساهم الدخل الذي تحقق عن سائحي التراث بنحو ٥,٥ بليون دولارٍ في اقتصاد الولاية في العام ١٩٩٧م، بما في ذلك مبلغ ١,٣٤ بليون دولار في المرتبات، ونحو ٧٠٠٠٠ وظيفة و٦١٧ مليون دولار في الإيرادات الضريبية (*Travel Weekly* 1999). وتتمتع ولاية بنسلفانيا بواحدة من أغنى المحميات في مواقع التراث الوطني في الولايات المتحدة، وأكثرها أهمية هي جرس الحرية، وقاعة الاستقلال.

يُعدّ الحفاظ على أي شيء من الماضي، ينظر إليه على اعتباره تراثاً، عاملاً رئيساً في نمو هذه الصناعة. وقد افترض كارتر Carter أن المشاعر والحنين، وما يُفتخر به محلياً، والتنمية السياحية، وما يتاجر به، وحتى الأوقات العصيبة، كانت في طليعة تحويل مواقع الماضي، وبالذات ذات الطبيعة الصناعية منها، إلى مناطق جذب سياحي على أساس أنه لا يوجد بديل مناسب آخر (Carter 1994). وقد أفضى هذا التوجه إلى زيادة التدفق السياحي إلى مناطق الجذب السياحي عامة، ومواقع التراث خاصة (Middleton 1997). على أي حال لا يمكن للمرء الاعتراض على أن التراث كان أداة رئيسة للجذب السياحي، وإلى تجديد المناطق الحضرية والريفية، الآخذة في التدهور، وتحقيق الحياة في المناطق الصناعية المهجورة في السابق. وتواجه هذه الصناعة انتقادات أيضاً؛ فقد أدان هيوسن (Hewison 1987) ومن بعده أوزل (Uzzell 1996) صناعة التراث والسياحة باعتبارها قوى شر تقلل من شأن التاريخ، وتنتج نظرة ضحلة وغير دقيقة للماضي.

في الآونة الأخيرة، حاول الباحثون ربط اهتمامات السياح بالتراث والثقافة مع اقتصاديات التسعينيات. وقد اقترح سيلبربرج (Silberberg 1995) أن اقتصاديات التسعينيات أثارت تغييراً في تصورات الناس نحو الإثراء الثقافي. فقد أظهرت إحدى الدراسات أن الناس قد قيموا عوامل الجذب الثقافي والتاريخي باعتبارها أكثر أهمية من السهرات الليلية أو الطعام عند التخطيط لرحلة ما. يقول نوريانتي (Nuryanti 1997: 120-1) إن الطلب نحو السياحة التراثية يعزا إلى:

> "أنها تتسم بظاهرتين متناقضتين: التفرد والعالمية. فكل موقع تراثي مُخَطط، للتنمية السياحية، يجب الحفاظ على خصائصه الفريدة من أجل أن يكون جاذباً ومستداماً باعتباره مقصداً سياحياً. ولكن، في الوقت نفسه، على الرغم من أن قيمته وأهميته قد تكون موقع شك، ويعاد تفسيره، وصياغته، وحتى إعادة بنائه، إلاّ أن مواقع التراث يجب أن يكون لها قيمة عالمية ليشترك فيه مختلف الزوار".

تطور السياحة التراثية
Development of Heritage Tourism

ظل الناس لفترة طويلة يستخدمون آثار الماضي القريب والبعيد وشواهده كموارد ترفيهية في سياقات حضرية وريفية (Newcomb 1979). وحتى في العصور القديمة كانت سياحة التراث موجودة، وهي أقدم شكل من أشكال السياحة، وبالتأكيد ليس كما ادعى بعض الكتاب أنها شكل جديد من أشكال السياحة (Prentice 1994). وضمن سياق السياحة الحديثة، هناك مبرر للقول إن السياحة التراثية قد شكلت جزءاً مما يعرف بسياحة الاهتمامات الخاصة (Zeppel and Hall 1992). وتحكي السجلات القديمة (لسكان العالم اليوم) عن أسفار التجار والبحارة والمغامرين، السفر لرؤية الأهرامات العظيمة ونهر النيل. ويعدّ المستكشفون القدماء شكلاً من أشكال السياح

الأوائل. حتى أولئك الذين قاموا بالرحلة الكبرى Grand Tour لأوروبا خلال العصور الوسطى انتقلوا بين المدن الثقافية القديمة لرؤية المباني القديمة، والكاتدرائيات، والأعمال الفنية (Marsh 1989). وجدت الرحلة الكبرى رواجاً بين صفوة الطبقة العليا في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر باعتبارها تجربة تعليمية وثقافية، وشملت زيارات لتلك المدن التاريخية كباريس، وتورينو، وميلان، والبندقية، وفلورنسا، وروما، ونابولي (Towner 1985, 1996). وتبع هؤلاء المسافرون مساراً ثابتاً يبدأ من باريس عبر وادي الرون الأسفل إلى شمال إيطاليا، وإلى روما ونابولي ثم العودة إلى إنجلترا عن طريق بلاد الراين الألمانية والدول المنخفضة. واختلف الوقت الذي استغرقته هذه الرحلة من نحو ٤٠ شهراً في منتصف القرن السادس عشر إلى أربعة أشهر في منتصف القرن التاسع عشر. كما تغيرت طبيعة المشاركين في هذه الرحلة مع مرور الوقت. فقد كان أوائل المسافرين من البريطانيين، وغالباً من مناطق اللوردات الارستقراطية، ولكن بحلول أواخر القرن الثامن عشر وجدت شعبية كبيرة بين المحامين والأطباء والمصرفيين والتجار. وقد تحولت الطبقة الارستقراطية إلى استكشاف البرتغال واليونان والشرق الأدنى (Towner 1996)، مما يوضح ظهور فكرتي بلوج الخاصة بغيرية التركيز allocentric والتمحور النفسي psychocentric حتى في الأشكال الأولى للسياحة (Plog 1973). وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، كانت هذه "الرحلة" شائعة بين السياح الأمريكيين الأوائل. واليوم ظلت كثير من المدن الواقعة على طول مسار الرحلة الكبرى من أشهر مواقع السياحة الثقافية والتراثية. وقد لاحظ ميلار أن: "مواقع التراث الفردية مثل كاتدرائية نوتردام وبرج إيفل في باريس، أو برج لندن، ومسقط رأس شكسبير في ستراتفورد في إنجلترا، قد وفرت الدافع للناس لزيارة البلد في المقام الأول" (Millar 1989: 14). كما دلل بتلر على اختلاف طبيعة المسافرين الذين يقومون بالرحلة الكبرى في العصر الحديث عن المسافرين الأوائل الذين قاموا بالرحلة نفسها (Butler 1996) (انظر الجدول رقم ١,١).

الجدول رقم (١,١). مقارنات بين المشاركين في الرحلة الكبرى في الماضي والحاضر.

الخصائص	السياح الأوائل	السياح المعاصرون
مدة الرحلة	شهور ولسنوات كثيرة	أيام قليلة لأسابيع قليلة
طبيعة التجربة	تعلم متعمق	تجربة سطحية
الأماكن التي يتم زيارتها	كثيرة ولفترات طويلة	قليلة ولفترات صغيرة
الأنشطة التي يتم الاشتراك فيها	تعلم متعمق	تجربة سطحية
الغرض من التجربة	التعليم (التنمية)	المتعة (المكانة العالية)
مستوى المعرفة	عالٍ (تعلم الثقافات)	منخفض (بعض التحضيرات)
حجم السوق	مقتصر على الصفوة (صغير)	كبير (مفتوحة أمام الجماهير)

المصدر: (Butler 1997).

وفي حين أن هناك بعض التباين في خصائص عملاء الرحلة الكبرى في العصر الحديث، فإن القيود المالية والزمنية للسياح الحاليين تعني أنه لا يمكن أن يسلكوا أنماط سفر السياح الأوائل ذاتها الذين شاركوا في الرحلة الكبرى. وكما سيتم التعليق عليه في مكان لاحق من الكتاب (انظر الفصل الثالث)، فمن الممكن تمييز سياح التراث الذين يتوافقون مع نموذج بلوج (Plog 1973) السابق ذكره. حيث يعدّ سياح التراث الذين سافروا عبر طرق الرقيق بغرب أفريقيا، وعبر طريق الحرير بآسيا، والطرق بين المعابد في جنوب شرق آسيا، والطرق عبر مناطق الحضارات السابقة للازتيك والمايا وحضارات أمريكا اللاتينية، هي أمثلة على سياح التراث ذوي الميول غيرية التركيز allocentric، وهم بذلك نسخ حديثة من المسافرين الأوائل الذي اشتركوا في الرحلة الكبرى. في المقابل، فالسياح الحاليون الذين تتركز زيارتهم لأوروبا في مدن أوروبا الغربية الرئيسة (مثل روما، وباريس، ولندن) كجزء من عطلة طويلة، حيث ينصب تركيزهم على المتعة أكثر من التعلم، فإنهم يُوصَفون بسياح التراث الذين يتجهون إلى التمحور النفسي psychocentric في نهاية الطيف. ولا يزال السير على نهج الرحلة الكبرى الأصلية نفسها عند تنظيم رحلات كبرى حديثة مرغوباً لسياح التراث الحاليين؛ لذا فإن فكرة (الغراند تور) ستبقى مع السياحة التراثية لوقت طويل.

قيمة التراث وأهميته
Value and Significance of Heritage

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى قيم القيمة ونظمها في تحديد ماهية جوانب التراث التي تم الحفاظ عليها مع مرور الوقت. وقد تحول التركيز من القيمة إلى الأهمية التي يبديها الناس نحو التراث. وقد ميز كلٌّ من هول وماك آرثر بين أربعة مجالات مترابطة ذات أهمية في التراث هي: الأهمية الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعلمية (Hall and McArthur 1993a).

- الأهمية الاقتصادية: يتم الحفاظ على التراث نظراً للقيمة التي تُجنى من نفقات زوار المواقع (Zeppel and Hall 1992). والسياحة هي أعمال تجارية كبيرة، تنعكس في رعاية القطاع الخاص للمواقع كوسيلة لزيادة الدخل، كما تهدف الدعاية أيضاً إلى جذب شريحة سوقية لديها مسؤولية واتجاهات بيئية. وتظهر الأهمية الاقتصادية للتراث أيضاً في تطوير طريقة رسوم الدخول للمواقع التراثية (انظر المناقشة في الفصل الخامس)، حيث تواجه الموارد التراثية مسؤولية إيجاد طريقة للحفاظ عليها.
- الأهمية الاجتماعية: تشير إلى الهوية الفردية والجماعية لدى الناس والمجتمع مع "تراثهم". وكثيراً ما يكون الضمير الاجتماعي قوة دافعة لإعطاء الأولوية للحفاظ على التراث. كما يساعد التراث أيضاً في تحديد الشعور بالمكان، وإيجاد ارتباط الناس بمنطقة ما، والمحافظة على الإحساس بالشعور بأن المكان سيبقى فعلياً دون تغيير.

- الأهمية السياسية: كما سوف يتضح في الفصل الثامن، فإن معنى التراث ورمزيته قد تخدم أغراضاً سياسية. كما أشار هول وماك آرثر Hall and McArthur، فإن التراث، بحكم ما هو متعارف عليه، هو مفهوم سياسي، فيما يتعلق بتعزيز أهمية حفظه، وكيفية تناوله، ووضع حد لتعارض رغبات القطاع الخاص من أصحاب التراث مع مصالح الحكومة أو المصالح العامة.
- الأهمية العلمية: تحتوي كثير من المتنزهات الوطنية والمناطق المحمية على مجموعات من الجينات الموروثة والنظم البيئية، التي قد يستفاد منها في الطب. كما أنها توفر بيئة جيدة لأنواع نادرة ومهددة بالانقراض. وحيث يمكن بسهولة تأسيس معيار لقياس التغير في المناطق المحمية، في مقابل البيئات المستوطنة، فإنه يمكن القيام ببحوث مفيدة على العمليات الإيكولوجية، وكثيراً ما تكون ضمن سياق آمن. وهناك أيضاً عنصر تعليمي للتراث، حيث يوفر للزوار المعلومات عن التاريخ الحي، والثقافة، وسكان المناطق، بالإضافة إلى إعطائه دروساً مهمة في العلاقة بين المستوطنين الأوروبيين والسكان الأصليين للمناطق.

نطاق التراث
Scales of Heritage

التراث ليست متجانساً؛ بل يوجد على مستويات levels أو نطاقات مختلفة، عالمية، وطنية، ومحلية، وشخصية (Graham *et al.* 2000; Swarbrooke 1994; Timothy 1997). يوضح الشكل رقم (١,٣) نطاق تجربة السياحة التراثية، مشيراً إلى أنها ترتبط بمفهوم "التراث المشترك".

النطاق العالمي World

لاحظ تيموثي أن مغريات التراث وجواذبه على النطاق العالمي تجذب أعداداً كبيرة من السياح من بلدان كثيرة (Timothy 1997). وبالنسبة لمعظم السياح الأجانب، فإن هذه المواقع تشكل جزءاً صغيراً من مسار واسع النطاق. وبالرغم من أن هذا النوع من الجذب السياحي قد يثير مشاعر الاندهاش فإنه ليس بالضرورة أن يثير مشاعر الارتباط الشخصي له. كثير من الزيارات إلى الآثار القديمة تكون بدافع من الاعتقاد بأن مثل هذه الأشياء مرتبطة بالماضي البعيد، وفي الواقع، بالنسبة لكثير من السياح فإن زيارة مواقع التراث العالمية تمثل تقديراً للحضارة العالمية وتحقيقاً لدرجة معينة من الوحدة البشرية (Moulin 1991).

شهدت بداية السبعينيات من القرن الماضي وعياً بالمواقع العالمية تحوّل إلى اهتمام تم تناوله في المؤتمرات الدولية الخاصة بالمتنزهات الوطنية، وبرنامج الأمم المتحدة لـ "البيئة"، وبرنامج اليونسكو "الإنسان والمحيط الحيوي". وقد ناقشت وفضلت هذه التجمعات فكرة عمل اتفاقية عالمية بهذا الخصوص، وأسفر ذلك عن الاتفاقية العالمية

لحماية التراث الثقافي والطبيعي The Convention for the Protection of the World's Cultural and Natural Heritage التي اعتمدتها اليونسكو في العام ١٩٧٢م.

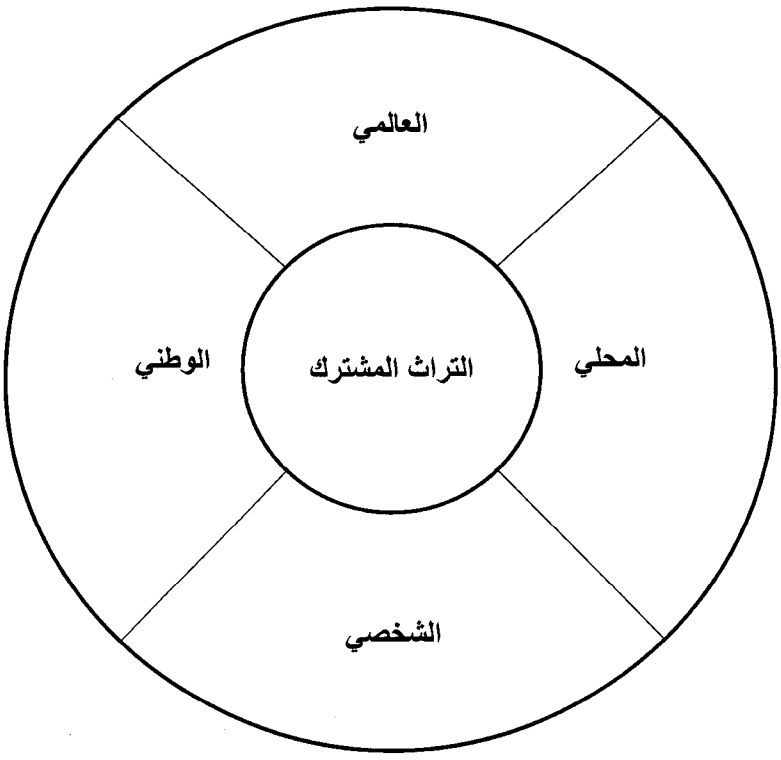

الشكل رقم (١,٣). نطاق السياحة التراثية.

وقد شكلت لجنة التراث العالمي World Heritage Committee (WHC) (وهي منظمة دولية غير حكومية) بموجب أحكام الاتفاقية لتنفيذ المهام التالية (انظر الفصل الرابع):

أولاً: تجهيز قائمة التراث العالمي للملكيات الثقافية والطبيعية، ذات القيمة العالمية الاستثنائية من الترشيحات المقدمة من الدول الأعضاء، وهو التعبير الذي استخدمته لجنة التراث العالمي WHC للدول التي صادقت على اتفاقية العام ١٩٧٢م. وقد اهتم المجلس الدولي للمعالم والمواقع "إيكوموس" The International Council of Monuments and Sites (ICOMOS) بتقييم التراث الثقافي، بينما تم تقييم المواقع الطبيعية بواسطة الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة والموارد الطبيعية The International Union for Conservation of Nature and Natural Resources (IUCN).

ثانياً: أن تعدّ لجنة التراث العالمي WHC قائمة التراث العالمي المهددة بالخطر List of World Heritage in Danger من الممتلكات المسجلة والمقبولة، لتقديم المساعدة في حالات الضرورة.

ثالثاً: تعدّ لجنة التراث العالمي WHC هي الجهة المكلفة بإدارة "صندوق التراث العالمي" لمساعدة الدول الأعضاء المحتاجة لحماية ما لديها من ممتلكات التراث العالمي.

رابعاً: أضيفت هذه الوظيفة لاحقاً، وهي: رصد حالة الحفاظ لجميع الممتلكات المسجلة.

هذه التشريعات متعددة الجنسيات قد تعدّ واحدة من أنجح أشكال التعاون الدولي بين البشر، والتي ظلت سارية التنفيذ لأكثر من ربع قرن، وخلال هذه الفترة تم إدراج أكثر من ٧٢١ موقعاً على قائمة التراث العالمي(*).

في ضوء حقيقة أن التراث ذا القيمة العالمية الاستثنائية يستمد مكانته من إجازة هيئة دولية، فإن من المهم أن نتذكر فقط أن كل بلد يمكنه أن يرشح أي موقع يريد تسجله في هذه القائمة، وهذا يدل على أن التراث العالمي يجمع خيرة ما تمتلكه الدول من التراث الوطني، وهي فرصة لإيجاد منافسة، حيث إن التراث أصبح يعبر عن احترام الذات الوطنية.

النطاق الوطني National

"غدت بعض المعالم التراثية عبر الزمن رمزاً لممتلكات المجتمع المشتركة" (Lowenthal 1975: 12). على سبيل المثال، يمثل جرس الحرية وقاعة الاستقلال في فيلادلفيا ومقبرة أرلنجتون الوطنية في فيرجينيا للأمريكيين جواذب تراثية وطنية جماعية قد تثير مشاعر وطنية قوية. على هذا المستوى، تمثل المعالم التاريخية رموزاً وطنية عليا، وفخراً وطنياً يمكن أن يكون حافزاً مهماً للحفاظ على البيئة الصناعية في المجتمعات الغربية (Lowenthal 1975; Timothy 1997).

النطاق المحلي Local

لاحظ لونثال، على النطاق المحلي، أن المجتمعات المحلية تحتاج إلى معالم تراثية بارزة حتى تتمكن من البقاء على صلة بمخلفات الماضي الخاص بها، في عالم سريع التغير. وتقوم الكثير من المدن والبلدان والقرى بتقديم أقصى ما في وسعها للحفاظ على مباني التراث والمعالم القديمة، التي لا يمكن تأهيلها من خلال منح الصيانة لتصبح تحفاً معمارية أو معالم تاريخية (Lowenthal 1979: 554).

كثير من المواقع التاريخية والأثرية في العالم ليست معروفة دولياً، والقليل منها قد يجذب عدداً من السياح من الخارج، إلاّ إذا اقترنت بغيرها من الجواذب السياحية. ومن بين مواقع الجذب التراثي العالمي المشهورة هناك المئات من المواقع الأخرى التي لها شهرة المحلية (Wall 1989). هذه الأنواع من الجواذب تحرك المشاعر وتسهم في تحقيق تجربة تراثية

(*) هناك حالياً أكثر من ٨٥٥ موقعاً على قائمة التراث العالمي، منها مدائن صالح التي ضمت في أغسطس ٢٠٠٨م، والدرعية التي ضمت في ٢٠١٠م، وسيضم لاحقاً المنطقة التاريخية في جدة.

محلية. "الذكريات التي حفظت في ذاكرة المجتمع من خلال جهود الرواد الأوائل للمجتمع، أو من خلال متحف تاريخي محلي، يمكن أن توفر تجربة مهمة للسكان المحليين لا يستطيع غيرهم الارتباط بها" (Timothy 1997: 752).

اتجهت الكثير من المجتمعات المحلية الصغيرة، في المناطق الريفية بأمريكا، في الآونة الأخيرة، لإنشاء ودعم المشاريع الصغيرة والمواقع التاريخية الصغيرة ذات الأهمية المحلية (Ambler 1995). وللكثير من المواقع التاريخية والأثرية الصغيرة عناصر مشتركة – كالكنائس، والمنازل التاريخية، والمدارس، والمؤسسات التجارية، والمتاجر، والبيوت الريفية (Ambler 1995). وقد أشار ريتشاردز (Richards 2001a: 11) إلى أنه:

> "بينما يحتدم النقاش في هذا الأمر، فقد واصل صانعو سياسات الاستثمار في الجذب الثقافي عملهم. وهذا غالباً ما يكون مسألة فخر واعتزاز محلي. كل مدينة وبلدة ترى أن من المهم أن يوجد بها مسرح خاص بها، وقاعة للموسيقى، ومتحف أو مركز للتراث، بغض النظر عن الطلب المحلي لمثل هذه التسهيلات".

وقد شجع ذلك الآلاف من المدن والقرى الصغيرة في جميع أنحاء العالم على تشييد متاحف محلية بغرض إبراز تراثهم.

النطاق الشخصي Personal

أكد لونثال أن التدمير الحديث للآثار التاريخية زاد من إحساس الناس بالحنين إلى الماضي (Lowenthal 1979b). فالبحث عن الجذور والهوية التاريخية وزيادة التقدير لثقافة الشخص وتراث الأسرة هو دليل على هذه الظاهرة. ومن بين الأنواع الأربعة من التراث المعروضة هنا، حظي التراث الشخصي بأقل قدر من الاهتمام، ولذلك فهو أقل فهماً (Timothy 1997). وتُظهر جواذب التراث الشخصي الأشخاص الذين لهم روابط عاطفية مع مكان معين. وتشمل تلك الجواذب أيضاً التراث مصاحبة المسافر الذي ينتمي إلى مجموعات ذات اهتمام خاص، بما فيها المجموعات الدينية، والجماعات العرقية، والمجموعات الوظيفية.

تعدّ بحوث التاريخ الأسري جانباً مهماً من جوانب السياحة التراثية الشخصي. فعلى سبيل المثال تدير كنيسة قديس اليوم الأخير للمسيح Church of Jesus Christ of Latter-Day Saints في سولت ليك سيتي، أكبر مكتبة للأنساب في العالم. تجذب المكتبة كل عام الآلاف من الناس من خلفيات متنوعة، يفدون من مختلف أنحاء العالم للبحث عن جذورهم ولدعم هوياتهم الشخصية (Hudman and Jackson 1992). يعدّ لمّ شمل الأسرة عند بعض الناس نوعاً آخر مهماً من أنواع تجربة التراث الشخصي، ويمكن أن يشمل ذلك السفر إلى أماكن بعيدة. فالسفر إلى

البلدان والمناطق والقرى التي هاجر منها أجدادهم هو عامل مشترك بين الناس الذين يحاولون العثور على جذورهم. فعلى سبيل المثال، أصبح الفرانكو-الأمريكيون أكثر وعياً بعلاقتهم بكيبيك، وكثير منهم باتوا يشعرون بالانتماء إلى "الأرض الأم". في السنوات الأخيرة، سافرت أعداد كثيرة من الأمريكيين الناطقين باللغة الفرنسية إلى كيبيك لاكتشاف أصولهم (Louder 1989). وهناك ٦٠ مليون شخص في العالم يدعون أن لهم سلالة أيرلندية نتيجة للشتات الأيرلندي. في الولايات المتحدة وحدها، يصل عدد ذوي الأصول الأيرلندية إلى أن نحو ٤٠ مليون نسمة. هذه المجموعة معروفة بحب السفر إلى وطنهم الأصلي، وتعقد كل عام تجمعات تضم المئات للمّ شمل الأفراد ذوي الأصول الأيرلندية. وتحتوي النشاطات في أماكن الأغراض الشخصية على البحث في محفوظات (الأرشيف) المجتمع، والكنائس والمقابر. كما يعدّ البحث عن منازل الأجداد حيث نشأوا، أو الكنائس حيث تزوجوا من سمات هذا النوع من التجربة التراثية.

كما يعدّ لمّ الشمل العسكري. وسفر المحاربين القدامى إلى أراضي المعارك السابقة من أنواع السياحة التراثية الشخصية، الذي يشهد زيادة في الأهمية (Smith 1996). وقد أشار تيموثي إلى أن: "السفر إلى الأماكن التاريخية والدينية والثقافية، والاهتمام المهني هو شكل آخر من أشكال السياحة التراثية الشخصي. فزيارة متحف محرك بخاري قد تثير مشاعر الحنين لدى عمال السكك الحديدية المتقاعدين. كما يمكن أن تكون زيارة الحاج من جنوب شرق آسيا، إلى مكة المكرمة زيارة شخصية جداً، وروحانية. وتجربة ثرية" (Timothy 1997: 753).

بينما ركز الحوار أعلاه الضوء على مستويات مختلفة من تجارب السياحة التراثية، والحدود الكبيرة بين أنواع الصدامات التي لا تزال محتدمة عندما تكون تجربة شخص ما مختلفة عما هي عليه لدى آخر، حتى لو كان ذلك في المكان نفسه. على سبيل المثال قد يعدّ معبد بوذي قديم تراثاً عالمياً لزائر دولي، ولكنه يعدّ تراثاً شخصياً لآخر يدين بالديانة البوذية. وبالمثل. قد يعدّ الجاذب والتجربة المتصلة به، لزوار اليوم الواحد من المناطق القريبة لحديقة جيتيسبيرغ العسكرية الوطنية، تراثاً محلياً، ولكنه لملايين آخرين من الأمريكيين جزء من الهوية الوطنية الجماعية (Timothy 1997).

البناء الهيكلي للكتاب
Structure of the Book

هذا الكتاب مبني على نموذج مفهومي موضح في الشكل رقم (١,١). ويقصد به رؤية الكاتبين حول السياحة التراثية، وكل فصل يمثل امتداداً لهذا المفهوم وتطويراً للنقاش حول المحاور والموضوعات الرئيسة. وكما سبق ذكره، فإن هذه الموضوعات الرئيسة هي العرض والطلب، والأسباب التي تؤدي إلى الحفاظ على الماضي، وإدارة السياحة التراثية، والتفسير، وحقيقة النقاش حول مفهوم التراث والأصالة، وتكوين

الجمعيات، والدور الذي تقوم به السياسات فيما يختص بالتراث. الفصل الثاني، يتناول جواذب السياحة التراثية وتجهيزاتها، من حيث أنواع الجذب ومقوماته، والخدمات الداعمة التي تقدم في مواقع التراث، والسياقات التي يوجد فيها التراث. ويبحث الفصل الثالث في متطلبات السياحة التراثية، مع التركيز على طبيعة متطلب التراث، وخصائص الزائر، والحوافز التي تدفع الناس لزيارة أماكن التراث، والعقبات التي تحول دون زيارة أجزاء كبيرة من المجتمع لمواقع التراث. ويناقش الفصل الرابع الأسباب التي تؤدي إلى الحفاظ على الماضي، وأنواع الحفاظ، والتحديات التي تواجه مشغلي التراث جراء الآثار الناتجة عن هذا النوع من السياحة. يركز النقاش والبحث الرئيس في هذا الكتاب على إدارة السياحة التراثية، وهو محور الفصل الخامس. حيث تم بحث مجموعة من القضايا المتعددة الجوانب، مثل: الملكية، والاقتصاد، وإستراتيجيات إدارة الزوار والمقيمين وكيفية تسويق السياحة التراثية في ضوء إدارة المواقع التراثية. ويتناول الفصل السادس الإرشاد التراثي، الذي يتطلب بداية دراسة الأصول للإرشاد، تليها الأدوار المختلفة للإرشاد، وعملية تخطيط الإرشاد، والتحديات التي تواجه المديرين في تقديم برامج إرشادية، وينتهي بدراسة أساليب وطرق مفيدة للمساعدة في تفسير التراث في ضوء الإرشاد. الفصل السابع يعيد بحث الأصالة، ويطرح بعض الأسئلة المهمة حول هذا الموضوع. ويبحث الفصل الثامن في سياسات التراث متعاملاً مع القضايا ذات الصلة بالسلطة، كما يبحث هذا الفصل في استخدام التراث للدعاية لتهيئة صورة مكانية وقومية، فضلاً عن تأثيرات الصراع السياسي على البنية التحتية للتراث. يقدم الفصل التاسع ملخصاً موجزاً وعرضاً للموضوعات الرئيسة التي تناولها الكتاب، مثل كيفية الحفاظ والاستدامة في السياحة التراثية، والتحديات التي تواجه المشغلين به، والتفسير والأصالة، والدور الذي تقوم به السياسة في إيجاد التراث وتشكيله. داخل هذه الفصول قدمت دراسات لحالات مختلفة تعطي توضيحاً للنقاط الرئيسة، كما تمت الإشارة إلى أمثلة صغيرة في كثير من الأحيان لتوضيح أمثلة من كلٍّ من العالمين المتقدم والنامي في السياقات الطبيعية، والثقافية، والبيئات الحضرية والريفية.

الأسئلة Questions

١- ما العوامل وراء التعقيد الذي يظهر في مصطلح "التراث"؟

٢- ما الأهمية التي تربطها بالتراث الموجود في المنطقة التي تعيش فيها حالياً؟

٣- ما الأدلة الداعمة للسياحة التراثية باعتبارها واحدةً من أقدم أشكال السياحة؟

٤- ما مدى الدعم الذي تقدمه لفكرة إيجاد "رحلات كبرى" جديدة تتعلق بالتراث؟

مراجع لمزيد من القراءة Further Reading

Graham, B. Ashworth, G.J. and Tunbridge, J.E. (2000) *A Geography of Heritage: Power, culture and economy*. Arnold, London.

Herbert, D.T. (ed.) (1995) *Heritage, Tourism and Society*, Mansell, London.

Fowler, P. (1992) *The Past in Contemporary Society: Then, now*, Routlege, London.

Hewison, R. (1987) *The Heritage Industry: Britain in a climate of decline*, Methuen, London.

McKercher, B. and Du Cros, H. (2002) *Cultural Tourism: The partnership between tourism and cultural heritage management*, Haworth, New York.